تأثير الثقافة الموسيقية الشعبية على السلوك الإنساني- الدبكة الشعبية نموذجا

The Impact of Popular Musical Culture on Human Behavior – The Popular Dabkeh as a Model

د. علاء معين فريح ناصر

أستاذ مشارك

جامعة اليرموك – الأردن / اربد

كلية الفنون الجميلة- قسم الموسيقى

alaa.naser@yu.edu.jo

+962799521050

الملخص

يتناول هذا البحث كيفية تأثير الثقافة الموسيقية على السلوك الإنساني من خلال الدبكة الشعبية، حيث ان الانسان يعيش ضمن طبيعة فيزيائية متأثرا في الكثير من العوامل النفسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمناخية المختلفة اثرت على سلوكه الإنساني منذ القدم محاولا إيجاد الطرق والوسائل للتعامل معها، اثرت الكثير من الظروف البيئية والمجتمعية على الفرد والاسرة والمجتمع، حاول الانسان قديما جاهدا إيجاد الطرق والوسائل للتعامل مع تلك الظروف فأثرت في حياته وثقافته وسلوكه الإنساني ذلك من خلال محاكاته للطبيعة التي اغنت ثقافته في الكثير من الميادين المعرفية في العلوم والأدب والتاريخ والفنون المختلفة جعلته أكثر تقدما سواء في النواحي الاقتصادية والسياسية والطبية والتكنولوجية المتنوعة. تعتبر الثقافة الشعبية الموسيقية من أهم أنواع الثقافة الإنسانية في أي مجتمع كونها تبرز التطور التاريخي لحياة الانسان وسلوكه منذ ولادته مساهما في نقل الثقافة إلى أجيال أخرى لتصبح بدورها ثقافة شعبية، فهنالك علاقة وطيدة تربط بين الثقافة الشعبية الموسيقية والسلوك إضافة الى التمسك في العادات والتقاليد والقيم من اجل تنمية مجتمعية ووعي ثقافي يرفع من شأن ورقي المجتمع، ان الكثير من الفلاسفة وعلماء الموسيقى إضافة إلى وجود العديد من الدراسات والأبحاث العلمية تعنى في ابراز أهمية وأثر الموسيقى على الانسان منذ الطفولة وحتى الشيخوخة تصل تلك الأهمية في تنمية وزيادة الوعي الثقافي والاجتماعي، ان الانسان بطبيعته يبحث عن كل ما هو جميل ومنطقي مستفيدا بذلك في إيجاد سلوكيات حياتية متغيرة تتناسب مع حياته اليومية ومناسباته الاجتماعية المتنوعة، لقد توصل الانسان بعد مرور الزمن على ان ما يعيشه ويتأثر فيه ويعبر ذاتيا عنه من أحاسيس ومشاعر وحركات ورقص وغناء وعزف ما هو الا إدراك للسلوك الحسي متأثرا في ثقافته الشعبية التي أصبحت جزءا هاما من حياته غلبت عليه تلك الطبيعة أو الصبغة، متأثرا ومستفيدا منها

في مناسبته سواء كانت المفرحة أو المحزنة أو من أجل التنمية القومية والوطنية والدينية، كما وأصبح جزءا منها يمثل الكثير من الطقوس التي ارتبطت بشكل كبير في تلك الثقافة الشعبية الموسيقية وسلوك مجتمعي، تعتبر الدبكة أحد النماذج المرتبطة في هذا التأثر، لقد لاحظ الباحث من خلال الأبحاث والدراسات مدى أهمية الثقافة الشعبية الموسيقية في أي مجتمع كان وكيف يمكن أن تؤثر مثل هذه الثقافة على السلوك البشري، كما وتكمن أهمية البحث في تقديم نماذج تستخدم في عملية ابراز هذا التأثير، هذا وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية: الموسيقى الشعبية، السلوك الإنساني، الإيقاع، الدبكة.

Abstract

This research deals with the impact of musical culture on human behavior through folk dabkeh, as man lives within a physical nature influenced by many different psychological, economic, social, political and climatic factors that have affected his human behavior since ancient times, trying to find ways and means to deal with it, affected many environmental conditions. In the past, man tried hard to find ways and means to deal with these circumstances, and they affected his life, culture, and human behavior by imitating nature, which enriched his culture in many fields of knowledge in science, literature, history, and various arts, making him more advanced, both in economic and political aspects. Diverse medical and technological.

Musical folk culture is considered one of the most important types of human culture in any society, as it highlights the historical development of human life and behavior since birth, contributing to the transfer of culture to other generations to become, in turn, a popular culture. For societal development and cultural awareness

that raises the status of society, many philosophers and musicologists, in addition to the existence of many scientific studies and researches, are concerned with highlighting the importance and impact of music on man from childhood to old age. He searches for everything that is beautiful and logical, benefiting from this in finding changing life behaviors that fit with his daily life and various social occasions. After the passage of time, man has come to realize that what he experiences, is affected by, and expresses himself in terms of feelings, feelings, movements, dancing, singing and playing is nothing but an awareness of sensory behavior. Influenced by his popular culture, which became an important part of his life, that nature or color overwhelmed him, influenced by and benefiting from it on his occasion, whether he was The joyful, sad, or for the sake of national, national and religious development, as it became a part of many rituals that were closely associated with that popular musical culture and societal behavior. Dabkeh is considered one of the models associated with this influence. Musical folk culture in any society and how such a culture can affect human behavior, and the importance of the research lies in presenting models used in the process of highlighting this influence, and the study concluded with some relevant results.

Keywords: folk music, human behavior, percussion, dabkeh.

المقدمة

تلعب الثقافة العربية وما تزال دورا كبيرا في صنع الحضارة الإنسانية ولم تأل جهدا في إغنائها بالتنوع والتعدد في إمكانات التعبير ، وقد استمرت في لعب الدور الإنساني المقدر لها على مدى فترات وحقب عديدة من التاريخ الإنساني، وكان من حسن هذه الثقافة أن تميزت بعبقرية الموقع الجغرافي الذي يمتد من الخليج الى المحيط ويتلاحم مع قارات آسيا وافريقيا وأوروبا، فتنوعت البيئة وندرت الحالة، من هنا أتيح لهذه الثقافة ان تنتمي

الى كل مكان دون ان تكون هناك في مجموعها وان يجتمع لإغنائها الجبل والسهل والصحراء والبحر والمحيط، فضلا عن الانسان الذي تشكل وفقا لهذه المعطيات(Miller: Shahriari: 2017: 219)، وتعتبر القيم الأخلاقية والسلوكية والمعتقدات والموروثات من ابرز عناصر الثقافة العربية بشكل عام والثقافة الموسيقية بشهل خاص، ذلك أن التراث الذي خلفته هذه الثقافة ليس قيمة مجردة بل هو قيمة حضارية إنسانية تستوعب عطاء الانسان وابداعه، وتعكس ملامحه الفكرية والفنية ويتميز هذا التراث في أنه صيغة حضارية متكاملة صنعها الانسان العربي منذ بداية التاريخ وتفاعي معها خارج الحدود السياسية المتحولة وداخل إطار الذاتية الثقافية الثابتة، كانت حصيلة هذه التراث شاملة للفعاليات الموزعة في أنحاء مختلفة من الأرض العربية ومتضمنة أنواع مختلفة من النشاطات (العمد: 1996: 7)، يعتبر التراث والثقافة الشعبية الموسيقية جزءا من التراث القومي لأي أمة ومنذ منتصف هذا القرن أو قبل ذلك بقليل، أخذ العالم العربي يحقق استقلاله السياسي ويلقي عن كاهله وزر الاستعمار ويملك زمام الأمور ومقدراته عندئذ تنبهت الدول العربية إلى أهمية التراث والثقافة الشعبية في تأكيد الشخصية القومية وعمدت الحكومات العربية الى الاهتمام بالثقافة الشعبية والفكرية والفنية بشقيه التقليدي والشعبي واظهرت حرصا على مساندة الاتجاه العلمي لهذا التراث والاهتمام به كموروث حضاري أو كمأثور شفاهي له أهميته في بينة الثقافة العربية للإنسان العربي، ومن اجل الحفاظ على التراث الشعبي أنشأت بعض الحكومات العربية مراكز البحث في هذا التراث وعملت على تسجيله وجمعه إدراكا منها لما يحمله من قيم وأصالة (مرجع سابق:1996: 8). كما وكانت الجهود الفردية قد بدأت على شكل إصدار كتب ودراسات تناولت العادات والتقاليد والأعراف، وتحدث بعضها عن القبائل والسير الشعبية والألفاظوالتعابير الشعبية والشعر والأمثال والقصص، وهذا يعني أن الجهود الفردية قد التقت مع الجهود الرسمية في الوقت الذي بدأ المصطلح يأخذ دلالته فشاعت مصطلحات الفلكلور والفنون الشعبية والتراث الشعبي في ثقافتنا المعاصرة لتدل على القدرات الإبداعية الفنية للشعب ومواد

الابداع والمأثور الذي توارثه الشعب تلقائيا من موروثات ثقافية شائعة ذائعة بين الناس مجهولة المؤلف تعبر في الوقت ذاته عن فكر وثقافة المجتمع الشعبية ووجدانه.

مشكلة البحث

لقد تشكلت في الأردن لجنة مستقلة تتخذ مقرها المجمع الملكي بحوث الحضارة في الأردن، وهي مؤلفة من رؤساء المجمع الملكي لبحوث الحضارة، جامعة اليرموك، الجامعة الأردنية، جامعة مؤتة، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، والجمعية العلمية الملكية، تتألف اللجنة من المفكرين والمؤرخين المرموقين من الجامعات ومراكز البحث العلمي من الذين يواكبون تطور المجتمع الأردني ويشاركون في مسيرته ليقوموا بوضع خطة متكاملة المراحل لكتابة تاريخ الأردن المعاصر في اطار تاريخ امته ونشر البحوث والدراسات ذات مستوى علمي رفيع ومنهج موضوعي يتوخى الحقيقة، لقد لاحظ الباحث على الرغم من وجود خطة متكاملة لحصر المصادر والمراجع والوثائق المتعلقة بتاريخ الأردن سواء الكتب المتعلقة في تاريخ الأردن والبحوث والدراسات المتخصصة بذلك إضافة الى كتب المطالعة إلا انها تفتقر الى وجود الأبحاث والدراسات والمراجع المتعلقة في الثقافة الشعبية الموسيقية وعلاقتها في السلوك الانساني من ناحية وعدم توفر الدراسات والأبحاث المتعلقة في الدبكة الاردنية في المجتمع الأردني، على اعتبار ان الثقافة الموسيقية هي المحرك الهام في تصوير الحياة الإنسانية الموسيقية في المجتمع الأردني ويسهم في عملية التنمية والتطوير.

أهمية الدراسة

ترجع أهمية الدراسة إلى القاء الضوء على كيفية تأثير الموسيقى الشعبية على السلوك الإنساني نظرا للدور الذي تلعبه الموسيقى الشعبية في الحياة الإنسانية لأي مجتمع متأثرا بالطبيعة الفيزيائية والمؤثرات الأخرى كالنواحي السياسية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية وغيرها الكثير.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف على مفهوم الثقافة الشعبية وكيفية تأثيرها على السلوك الإنساني.
2. التعرف على السلوك الإنساني من خلال الدبكة الشعبية في المجتمع الأردني.

أسئلة الدراسة

- كيف تؤثر الثقافة الشعبية على السلوك البشري؟
- هل الدبكة الشعبية هي أحد النماذج الناتجة من خلال تأثير الثقافة الموسيقية على السلوك الانساني؟

منهجية الدراسة

أ) منهج البحث: المنهج الوصفي (تحليل المحتوى).

ب) عينة البحث: تم اختيار بعض من الدبكات الشعبية التي ترتبط في موضوع الدراسة.

ج) أدوات البحث: المدونات الموسيقية، التسجيلات، الكتب والمراجع والرسائل العلمية، الانترنت.

د) حدود البحث: تقتصر حدود البحث على بعض الدبكات في المجتمع الأردني.

هـ) **عينة البحث:** بعض من الدبكات الشعبية الأردنية.

مصطلحات البحث

-**التراث الشعبي (Folk Tradition):** هو الثقافة التي تلقاها جيل بعد جيل، وهذا التراث يعطي أعرافا ومعتقدات آمن بها المجتمع الشعبي وماسها في صور نشاطات متنوعة والهدف

من ذلك هو تلبية احتياجات الانسان الفطرية والروحية والمادية والجمالية، ان الارتباط بالأرض والمعايشة الحقيقية لقافتها الشعبية وتراثها الموروث هو الذي مهد لنشأة الأشكال الفنية الفلكلورية المتعددة مادية كانت أم معنوية مثل الأغاني أو أنماط سلوكية والاحتفالات الشعبية المختلفة (القاضي: 1995: 243).

- **تزيين اللحن (Tunes Decoration)**: تزينات الألحان توشيتها ومصاحبتها بنغم وإيقاعات من أجناسها دون أن تطغى هذه على هيئة الصيغة التي يتميز بها اللحن الغنائي قولا (خشبة: 2004: 47).

-**الأغاني الشعبية (Folk Songs)**: أغاني احتضنها الشعب وغناها لسهولة كلماتها وبساطة ألحانها، قد تكون مجهولة أو معروفة الأصل منتشرة بين المجتمعات، وترتبط بمراحل حياة الإنسان ومعتقداته مشاركة في الكثير من العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية (أبو الرُب:1980: 71).

-**تركيب (Composition)**: ازدواج النغم في تواليها على نسق محدود، غما على الأفراد وإما بالمزج بين بعض منها على هيئة اتفاقات صوتية محدودة (خشبة: 2004: 44).

-**التعبير الشفوي (Oral Expression)**: نقل المعتقدات والمشاعر والأحاسيس والمعلومات من شخص إلى أخر، وهو من أكثر فنون اللغة شيوعاً، يسمى الكلام وهو فن الحديث أيضاً ويسبق فن الكتابة وتتطلب تنمية مهارات التعبير الشفوي تخطيط مواقف لغوية اجتماعية قريبة من الواقع، (شحاتة: النجار : عمار :2003: 108). ومن الجوانب الأخرى في التعبير :

1. الجانب الفكري: القدرة على استهلال الكلام بمقدمة تحمل في مضمونها عنصر التشويق للتعبير عن الحاجة والمشاعر والأحاسيس والأفكار، وتقديم الإثبات والأدلة المختلفة لدعم الفكرة (الحوا مدة: السعدي:2015: 51).

2. الجانب اللغوي: استخدام الكلمات المناسبة للسياق، واستخدام أسلوب وكلمات محددة في الدلالة والمضمون، والجمل الصحيحة في تراكيبها، وأنماط لغوية وجمل وصور بلاغية معبرة عن المعنى (مرجع سابق:2015: 51).

-**دور الإيقاع (Rhythm)**: هيئة من الجنس الموزون الذي تنتظم به أزمنة ما بين نغم اللحن وتتمثل في نقرات محدودة على أزمنة محدودة لا تغيير خلال لحن واحد سواء كان هذا مقرونا بحروف الأقاويل أو كان من نغم الآلات (خشبة: 2004: 322).

-**الألحان الشعبية (Folk Melodies)**: أغاني وألحان شعبية سهلة الكلمات واللحن، قد تكون مجهولة أو معروفة الأصل منتشرة بين المجتمعات، وترتبط بمراحل حياة الإنسان ومعتقداته مشاركة في الكثير من العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية (أبو الرب: 1980: 71).

-**تذوق اللحن (Taste the Melody)**:التذوق اصطلاح محدّث أُقحم بهذه التسمية في الموسيقى العربية بمعنى (خُبر الألحان)، مأخوذة عن التعريف الأوروبي الذي جُعل بإزاء جماليات العزف والأداء الآلي في إجراءات عملية تشبه الإلحاح حتى يتشبع بها السامع وتذوقها، إن رضاء عن اقتناع سهل أو قسراً على استكراه لها، والذوق مصدر ذاق الشيء ذواقا وهو بالأطعمة وما يلتذ به جسم الإنسان أخصّ، غير أنه لما كان معناه الاختبار بالتجربة العملية والسماع فإن تعريفه بالعربية كما في كتب أهل الصناعة وعلمائها، هو (خُبر صناعة الألحان) فهو هنا ألزم وأكثر تخصصاً لمعنى التذوق في السماع بمعنى الإحساس (خشبة:2004: 32).

الدراسات السابقة:

1.دراسة بعنوان " أساليب التعبير عن الذات والرأي وضوابطهما دراسة تربوية في ضوء السنة النبوية ".(الحمد: منى:2015)، تناولت هذه الدراسة أساليب التعبير عن الذات، من خلال توضيح أسلوب التعبير الشفوي والكتابي والجسدي والتعبير بالصمت والتعبير

بالعمل، و ممارسة حق التعبير مقيد بضوابط كفيلة بحسن استخدامه وحفظ حقوق الآخرين ومنع الحاق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء ، من نتائج الدراسة أن الإنسان لديه الحق في التعبير عن ذاته ورأيه ومنع إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء وعدم الإخلال بالنظام العام وحسن الآداب، تفيد هذه الدراسة البحث الحالي من حيث الاستفادة من مفهوم التعبير الذاتي ومفهوم الذات

2. دراسة بعنوان" أثر التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض في محافظة ديالي"، (حميد: حذام: 2007)، حيث تهدف هذه الدراسة التعرف على التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض، إضافة إلى معرفة الفروق بين الذكور والإناث في تنمية الإدراك الحسي بعد استخدام الخبرة البصرية، حيث تم الاستفادة من هذه الدراسة في كيفية استخدام أسلوب التعبير الذاتي الفني عند الفرد، وكيفية الاستفادة من مفهوم الإدراك الحسي في النمو المعرفي والاجتماعي والوجداني وأنها تتضمن تفكيراً منطقياً في عملية الوصف والتحليل.

3. دراسة بعنوان "الغناء البدوي الأردني "،(حداد :عبد السلام :2006)، تقع الدراسة في ستة فصول، تناول الفصل الأول الحياة البدوية في الأردن، أما الفصل الثاني تطرق إلى نشأة الشعر البدوي وأوزانه ومقارنته مع الشعر العربي الفصيح، اهتم الباحث في الفصل الثالث بعرض لجوانب الحياة الموسيقية عند البدو، في الفصل الرابع تناول الآلات الموسيقية عند البدو، أما الفصلين الخامس والسادس أهتم الباحث فيهما بإبراز أنواع الغناء البدوي وخصائصه، ترتبط هذه الدراسة بالبحث الراهن بمواضيع الأغاني البدوية، كذلك استفاد الباحث من تسليط الضوء على طبيعة الحياة والمناسبات الاجتماعية التي تمثل المجتمع في الأردن.

4. دراسة بعنوان "أغاني الفاردة الأردنية"، (علوان: رائدة: غوانمة: محمد: 2020)، تناول البحث أغاني الفاردة الشعبية باعتبارها نموذجا غنائيا تراثيا مهما في غاني الزواج في

الأردن يهدف البحث الى التعريف بالفاردة بوصفها طقسا غنائيا شعبيا أردنيا، والتعرف الى نماذج من هذا الغناء والتعرف الى أبرز خصائصه الفنية، اذ تتمثل أهمية البحث بالقيم الفنية والاجتماعية التي تكتنزها النماذج الشعرية واللحنية التراثية لأغاني الفاردة، ومن نتائج البحث التوصل الى العديد من الخصائص الفنية المتعلقة في موضوع البحث.

5. دراسة بعنوان" أدوار الثقافة الشعبية في تأصيل الهوية الثقافية وتحقيق التنمية الاجتماعية مقاربة أنثروبولوجية"، (إسماعيل: ميهوبي: الهدى: مراح: 2019)، تناول البحث الثقافة الشعبية في المجتمع الجزائري والدور الهام الذي تقوم فيه في تأصل الهوية الثقافية المجتمعية لتحقيق التنمية الاجتماعية لأفراده فيما بعد، يهدف البحث الى ابراز أهمية الثقافة الشعبية وانواعها من خلال التحليل الأنثروبولوجي، ومن نتائج البحث التوصل ان مسألة التنمية الاجتماعية في مختلف تجلياتها هي انعكاس منطقي لطبيعة الثقافة الشعبية السائدة في المجتمع.

6.دراسة بعنوان "الموسيقى عند العرب الأنباط"، (المصري: عبد العزيز: 2010)، تناول البحث الموسيقى عند الأنباط حيث اعتمد على الدلائل الأثرية والكتابات وسجلات المؤرخين لإعطاء صورة شاملة عن الموسيقى النبطية، يهدف البحث الى ابراز أهمية الحياة الموسيقية ومدى احتراف الانباط الى مهنة الموسيقى، وفي الخاتمة للبحث بينت أهمية الموسيقى في النواحي الدينية والاجتماعية والى كيفية استخدام الآلات الموسيقية المتنوعة.

7.دراسة بعنوان "الأهازيج والأغاني الشعبية الأردنية دراسة في البناء والغايات"، (غرايبة:2021)، تتناول الدراسة من خلال التحليل الأهازيج والأغاني الشعبية الأردنية من حيث البناء والغاية بوصف الأدب الشعبي وسيلة تلقائية تعبر عنها الأمم عن ذاتها بكل حرية، تقتضي دراسة الادبي الشعبي دراسة التراث وتحليله بعد جمعه وتدوينه لتتم دراسة المجتمع من خلاله فيتمكن المهتمون من ادراكه وتذوقه والحفاظ عليهن وفي

الخاتمة بين للباحث ان الانسان البن بيئته فهو يعبر عن وجوده فيها وان الغناء يتطور مع تطور الحياة المنتجة، كما أن الأدب الشعبي يدرس واقع الانسان ضمن البيئة التي يعيش فيها.

أولا: الإطار النظري

تعتبر الثقافة الشعبية الموسيقية هو نتاج عقلية الجماهير الأردنية التي تسكن القطعة العربية من الأرض والتي هي جزء من الفن الشعبي العربي الواحد، هي جزء من الموروث الشعبي وتاريخ الشعوب والمحتوى الذي تستمد انتمائها وأصالتها وقيمها ولغتها وطقوسها وأسلوب حياتها الذي يعبر عن الثقافة والهوية المجتمعية، كما وتعتبر من أهم الركائز في عملية التنمية والبناء والتطوير، المكون الأساسي في صياغة الشخصية الاجتماعية والأردن كغيره من المجتمعات في العالم يملك من الإرث الثقافي المتنوع (المادي وغير المادي) ما يجعل الدراسات في الحقل الشعبي اهتمام متزايدا (سرحان: 1997: 13)، فالثقافة الشعبية هي التي تمثل الشعب والمجتمع الشعبي، ترتكز على قاعدة المشافهة وهي مدونة في أفكار الناس وذكرياتهم ما يمنحها في نفس الوقت تجرا متميزا يجعل الأجيال تتناقل آدابها جيلا بعد جيلا، ومن أهم خصائص الثقافة الشعبية التتبع والتقيد بمجموعة من المعايير التي تفرضها علينا الثقافة بمعنى الالتزام من خلال مرحل التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة، غير مدونة يتم تنقلها بطريقة شفاهية محفوظة، تتميز في الاستمرار والثبات دون تحريف في الأسلوب العام، كما وان الثقافة الشعبية عملية تلقائية وغير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية لسد واشباع الحاجات الطبيعية الأساسية والتي تتحول مع الزمن الى عادات فردية وجماعية، مستقلة عن غيرها من الظواهر الاجتماعية لأنها من صنع الأجيال السابقة.

الثقافة الشعبية في المجتمع الأردني

يعتبر مصطلح أو مفهوم الثقافة من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما وانه لم يحظ مفهوم من مفاهيم الانثروبولوجيا العامة بقدر ما حظي به مفهوم الثقافة من ثراء في تعريفاته منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى الأن (إبراهيم: 2009: 21). ومن الجدير بالذكر ان هناك بعض المحاولات التي تسعى الى تقريب وجهات النظر فيما يتعلق بتفسير وتحليل العلاقة بين الثقافة والمجتمع ويقوم بتلك المحاولات بعض علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا، أن النظرية الخاصة بدور الثقافة في الحياة الإنسانية انما تستند في تحليلها للسلوك الى جوانب أساسية هي:

1. التنظيم الثقافي Cultural Organization يركز هذا الجانب على توضيح كيفية ربط العناصر الثقافية بعضها ببعض من خلال مظاهرها العمومية ومن خلال الاعتماد المتبادل كذلك درجة التناقض او التغاير فيما بينها.

2. التطابق او الامتثال الثقافي Cultural Conformity ويشير ذلك الى عملية المشاركة والتطابق في العوامل والعناصر الثقافية والتي تعتبر مرشدا أساسيا نحو عملية التكامل الثقافي بدلا من الاعتقاد التام في ان الثقافة الخاصة والمستقلة هي شيء مرغوب فيه على الدوام.

3. التوزيع الثقافي Cultural Distribution وهذا يعني تبادل السمات والعناصر الثقافية الفعلية والمتاحة بين الأعضاء في وقت واحد.

اكتسب مفهوم التراث الثقافي الشعبي أهمية كبيرة من خلال التعريفات التي صاغها علماء التراث في ضوء ما تحمله التعريفات من خلفيات أكاديمية متعددة ومتباينة لهؤلاء العلماء، إلا ان اغلب تلك التعريفات قد شملت نقاط التقاء أساسية منها التركيز على الجانب الشفاهي، عنصر الموروث، عنصر المتداول، بالإضافة الى التركيز على الآداب والفنون

الشعبية والعادات والمعتقدات وادخالها الى مجال التراث الثقافي او الفلكلور، فالثقافة الشعبية هي مجموعة العناصر الثقافية المادية والروحية لشعب من الشعوب تكونت على مدى الزمن وعبر الأجيال المتلاحقة، ظاهرة اجتماعية قادرة على تقديم تجارب وخبرات الأجيال السابقة في تعاملها مع مواقف الحياة اليومية، كما انه قادر على تحريك كل افعالنا الحاضرة وتزويدنا بالحلول الجاهزة لمواجهة ما يمكن ان يعترينا من مشاكلات أو أزمات، والثقافة الشعبية مجال رحب يضم العديد منم العناصر الثقافية المتنوعة التي ابتكرها الوجدان الشعبي وصاغتها ضمائر الجماعة وابتدعتها ولذلك فهو يتخلل جميع المظاهر السلوكية ويتداخل مع جميع الأفعال الاجتماعية بقدر معين، وعلى هذا الأساس اضطلع كل من علم الفلكلور الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة التراث دراسة منهجية ونظرية للتعرف على عناصره ومجالاته وتحديد أفضل المناهج لجمعه وتدوينه ودراسته ومناقشة الاتجاهات النظرية لتفسيره وشرحه تمهيدا للوصول الى القوانين الاجتماعية والثقافية التي تحكمه (مرجع سابق: 2009: 69-67). يمكن تصنيف الثقافة الشعبية الى أبواب كبيرة مثل المعتقدات، العادات والتقاليد، والأدب، الموسيقى والفنون الجميلة، الطب الشعبي، الصناعات والفنون اليدوية، المسح والاحصاء، السير الشعبية، الأغاني التعابير والأقوال السائرة والكنايات والألغاز والحكايات والاساطير، الامثال، الشعر، والرقصات والدبكات، كل ذلك يجمع بين ما توارثه المجتمع من خبرات ثقافية في اشكاله التعبيرية وبين ما تحتاجه حياته اليومية في إطار من العادات والتقاليد والقيم الروحية، وما تحمله عناصره من مقولات الانسان الفكرية والاجتماعية، حملت الثقافة العربية بحكم طبيعتها وتكوينها موروثا ثقافيا اكثر بكثير مما حفلت به المدونات، كما تناقلت ألسنة الرواة القصص والامثال والحكايات والاساطير والشعر والاحاجي والنكات والفكاهات، وظل هذا الموروث في تواصل مع الثقافة العربية يأخذ منها ويعطيها دونما انفصام بين ما هو موروث وما هو مأثور أو بين ما هو ثقافة تاريخية رسمية وبين ما هو تراث وثقافة شعبية، لقد ظلت الثقافة الشعبية تقوم بدور فعال في الحفاظ على طابع الشخصية العربية ومقوماتها، فقد

حمل الرواة والمنشدون والموسيقيون تراث الأمة المتمثل في السير الشعبية والملاحم القومية (العمد:1996: 15–18).

حتمت الظروف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية المليئة بالمتغيرات والتأثيرات المتبادلة عبر آلاف السنين على الثقافة الشعبية الموسيقية ثراء وتغيير وتنوع كان له الأثر في السلوك الإنساني والابداعي والفني والثقافي، ساهمت هذه الظروف مجتمعة في خلق هذه الثقافة وتأصيلها في أعماق الانسان الأردني برغم من التقلبات الحضارية والغزوات الفكرية وأساليب التحديث المعاصرة (غوانمة: 1997: 16)، ففي الجانب التاريخي تتميز المملكة الأردنية الهاشمية بموقعها المتوسط الهام بين الأقطار العربية في قارتي آسيا وافريقيا، تضم عددا من الأنماط الإقليمية المتميزة بخصائصها الطبيعية منها الصحراوية والغورية والسهلية والجبيلة والواحات ولكل منها ميزات خاصة لكنها تشكل بمجملها وحدة جغرافية قائمة بذاتها، وقد اجتمعت في الأردن تيارات موسيقية محلية وعربية مختلفة فالغناء البدوي الأردني يشبه الى حد كبير غناء البوادي العربية المختلفة وخاصة بوادي الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، اما المنطقة الشمالية من الأردن (اربد والرمثا)، فتشترك بنفس الحوض الموسيقي مع جنوب سوريا (درعا)، وتلك المناطق التي يطلق عليها اسم (سهل حوران) تتمتع بنفس الميزات والسمات والثقافة الشعبية الموسيقية، من حيث ألوان الغناء وأساليبه وأنواع الآلات الموسيقية وطرق العزف عليها(حمام:1983: 156). في الجانب التاريخي يرجع تاريخ الأردن الى خمسمائة ألف ق.م حيث عاشت على الأرض الأردنية العديد من الشعوب والممالك والتي خلفت آثار لحضارات كثيرة على هذه الأرض اندثر بعضها واستمرت ملامح البعض الأخر حيث بنى الصيادون أماكن عبادتهم على شكل بيوت هرمية فمارسوا طقوسهم ورتلوا الأغاني لآلهتهم عندما كانوا يقدمون لها الأضاحي، ولا تزال بعض الصور التي تمثل بعض الفرق الموسيقية الصغيرة موجودة في آثار وقصور الأمويين في الأردن منها صورة في قصر عمرة لعازفات على العود والدف والمزمار كما يلي:

شكل (1): صورة عزف على آلة العود في قصر عمرةhttps://www.google.com/search

لقد تأثر الأردن بتيارات الثقافة المختلفة التي أحاطت به العصور فالملوك والأمراء وكبار رجال الدولة شغفوا بالغناء والموسيقى والرقص وأولوهما الاهتمام حتى انهم كانوا يعقدون مجالس الأنس والطرب في قصورهم وما يذكر أن مدينتي الكرك والشوبك اشتهرتا بالغناء وجرت العادة فيهما على استقدام المغنيات في حفلات الأفراح مقابل مبالغ نقدية معينة، حتى أن الدولة في العصر المملوكي فرضت ضريبة خاصة سميت (ضريبة المغاني) (غوانمة: 1997: 17–20).

الثقافة الشعبية والسلوك

ليست في الأهمية ان تنتج الثقافة الشعبية من تقاليد شعبية معينة، إذ أن مفهوم الثقافات المتناقضة في العلاقة بين الإنتاج الفكري والبنية الاجتماعية يصبح في مسألة الثقافة الشعبية ذو أهمية خاصة، الثقافة الشعبية تعكس ثقافة الشعوب بل المجتمعات بأكملها، حيث تهتم بأمر انعكاسها للتراث والأشكال الثقافية الرئيسية، وقد ورد عن علماء الثقافة الأوروبيون إلى أن الثقافة الشعبية في أوروبا هي ثقافة ذات طابع قديم، والثقافة الشعبية ليست هي الثقافة التي خلقها الشعب، وإنما هي تلك التي قبلها الشعب وتبناها وحملها، لقد كان الاهتمام بالثقافة الشعبية في الوقت الزمني الماضي أمراً يعود إلى مخزون الحكايات الثقافية والأساطير والفنون بكامل أنواعها الثقافية والسردية بوصفها مخزوناً ثقافياً بانياً للهوية الاجتماعية على مر

الفترات التاريخية، ترتكز الثقافة الشعبية بشكل أساسي على مجموعة معينة من أفكار الناس الثقافية، وهذا العنصر يضيف عليها في نفس الوقت تجذراً متميزاً يجعل كافة الأجيال تتناقل آدابها الثقافية جيلاً تلو جيل (موقع ألكتروني:1)، ان اللغة العربية هي وسيلة التفاهم الأولى بين افراد المجتمع الأردني حيث ان الأردن مكون من عدة أقاليم وتسود في كل إقليم منها لهجة لغوية وغنائية خاصة، فإن اللهجة في جنوب الأردن وشرقه والمتميزة بالبدوية تختلف عنها في شماله المتميز بالريفية وعن أوسطه المتسم بالمدنية وجميعها لهجات عربية قديمة الجذور تتشابه مع اللهجات العربية المجاورة بشكل كبير فاللهجات الأردنية وخاصة البدوية والريفية تتشابه مع مثيلاتها من لهجات الرافدين وبلاد الشام والجزيرة العربية، يعتمد الفلكلور التراثي الغنائي الأردني على اللهجة العامية فهو يصاغ بشكل نصوص شعرية شعبية أو زجلية تروي قصص وملاحم الحياة التي مرَّ بها الانسان الأردني بشكل خاص والانسان العربي بشكل عام مؤكدة على نظرة الاخاء والتسامح بين أبناء العالم العربي (غوانمة:1997: 23)، تحتوي الأغاني التراثية الشعبية الأردنية على عدة ألوان أساسية من الغناء (البدوي، الريفي، البحري) والدبكات الشعبية (حبل مودع، الكرادية، التسعاوية، الشعراوية، الدرازي، الشمالية، الجوفية، العسكرية، الغورانية، واحد ونص، العقباوية، الفرادية، الجماعية، السحجة، رقصة السيف الحاشي، الدحية).ان العلاقة التي تربط الثقافة الشعبية في الفلكلور ذلك ان علم الاجتماع يهتم بدراسة البناء الاجتماعي وتطوره وحركة تغيره وما يحكمها من قوانين وعلوم الاجتماع الفرعية يدرس كل منها نسقا فرعيا او مجالا محددا من مجالات البناء الاجتماعي في علاقته بغيره من انساق المجتمع مع التركيز على النسق الفرعي موضوع الاهتمام، وبما ان الفلكلور يدرس بعض تلك الانساق الفرعية كنسق الآداب الشفوية أو المعتقدات والقيم فإن اللقاء حتمي وعميق بين علم الاجتماع والفلكلور والحقيقة ان الفلكلور يضع نفسه في مكان وسط تلتقي فيه الكثير من العلوم الاجتماعية وخصوصا الانثروبولوجي، بل وان الانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها فتتبع نموها وتطورها وتدرس بناء

الثقافات البشرية واداءها وظائفها في كل مكان وزمان(المطور: 2007: 44). دراسة الثقافة هي موضوع ما يمكن أن يطلق عليه (علم الثقافة المقارن) ويقصد به هذا الفرع من علم الانسان المسمى بالأنثروبولوجيا الثقافية وبتعبير أخر هو العلم الذي يعنى بدراسة الانسان ودراسة أعماله ويشمل جميع ظواهر الحياة الإنسانية والاجتماعية من غير تحديد لزمان أو مكان، اذا كانت الأنثروبولوجيا الطبيعية هي دراسة الجسم البشري من جميع نواحيه البيولوجية والفسيولوجية أو بتعبير آخر دراسة ما عليه الناس فان علم الانسان الثقافي هي دراسة ما يقوم الناس في صنعه، ام ما يصنعه الانسان يسمى (ثقافة) باستخدام الكلمة في أوسع معانيها وليس بالمعنى الخاص للتربية الأدبية أو الفنية، وثقافة شعب من الشعوب تشمل البناء الكامل من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والقوانين واللغة كما تشمل جميع الأدوات والأسلحة والآلات الموسيقية وغيرها من الاختراعات التي يستخدمها الناس لكي يتلاءموا مع حياتهم على الأرض (عنتيل: 1978: 117). اذا كان المجتمع هو جامع الأفراد فان الثقافة هي كيان السلوك المكتسب لهؤلاء الافراد جيلا بعد جيل، ولكل مجتمع طرقا كثيرة يتعلمها أفراده للتفكير والعمل ويسلك سلوكا يختلف عن المجتمعات الأخرى، هذا التفكير وهذا السلوك هو ما يصنع الثقافة التي تميز مجتمعهم عن مجتمعات الآخرين، والانسان هو الذي يملك القدرة على التطور مثلما نقل السلوك المتعلم أو المكتسب، اما العملية التي يجد الفرد بها اكتماله في مجتمعه فهي ما يسمى التأقلم أو التكيف في المجتمع وهي توائم الفرد مع تصرفاته وسلوك الأخرين وتوقعاتهم منه وردود الفعل المتوقعة وهكذا (شريف:2008: 14-21).ان من أهم خصائص الثقافة انها ظاهرة نسبية على اعتبا ان الانسان هو الوحيد الذي يتمتع في الثقافة، الانتشارية حيث تمتاز الثقافة في العصر الحاضر بسرعة الذيوع والانتشار لوجود العوامل التي تساعد على تحقيق هذه العملية، متوارثة تتميز في استقلاليتها عن الافراد يحملونها ويمارسونها في حياتهم اليومية ومعنى ذلك ان عناصر الثقافة يكتسبها الانسان بالتعليم منذ الصغر من اسرته ومن المجتمع الذي يعيش فيه على اعتبار هي انها من التراث الثقافي الذي يتراكم على مر العصور بحيث يتمثل في

اخر الامر في شكل التقاليد المتوارثة والتي تنعكس على كافة جوانب حياته، ان الثقافة مكتسبة ولها المقدرة على الاستمرارية والانتقال عبر الزمن (مرجع سابق:2008: 33). يمكن النظر الى السلوك باعتباره حركات الكائن الحي التي يمكن ملاحظتها وقياسها وهذا يشتمل على الحركات الخارجية والحركات الداخلية وآثارها، وتشمل الحركات الخارجية على أفعال مثل فتح الباب وقذف الكرة والقفز وطلب التعليمات والتوجيهات وكتابة حل لمسألة حسابية، هذه الحركات يمكن قياسها فضلا عن ذلك فلا يستبعد ما يخبره الفرد من مشاعر وأفكار طالما انه يمكن التعبير عنها لفظيا او بتعبيرات سلوكية أخرى وبالتالي فان هذه التغيرات هي مصادر بياناتنا عن المشاعر والأفكار (جابر: 1983: 27)، السلوك الإنساني هو كل أوجه نشاط الفرد التي يمكن ملاحظتها سواء بالأدوات القياسية أو بدونها مثل حركات الفرد وايماءاته وطريقة استخدامه للغة وتفاعلاته وتخيلاته ودوافعه وادراكه وقدراته، ويقسم العلماء السلوك الإنساني الى موضوعات رئيسية يدرسون كل موضوع على حده يعطونه اسما معينا إلا انه يجب ان يضع في اعتبارنا أنه لا وجود لهذه العمليات منفصلة أو مستقلة عن بعضها بل ان السلوك الإنساني هو التفاعل بين كل هذه العمليات فكل عملية تؤثر في الأخرى وتتأثر بها قدر معين، اثناء تفاعل الفرد مع بيئته تحدث له أنماط مختلفة من عمليات التأثير بعضها يرتبط بالبيئة الاجتماعية ويطلق عليه عمليات اجتماعية وبعضها يتعلق بأحواله الذاتية ويطلق علبيه عمليات نفسية (شفيق:2002: 6-11).

نظرا لأهمية فهم البيئة ومدى تأثيرها في السلوك الإنساني فإن هناك أهمية لتفهم طبيعة التفاعل بين الفرد والأنظمة المختلفة التي يتعامل معها خلال البيئة الاجتماعية المحيطة به، لذلك فإن الاخصائي أو الباحث يحتاج الى اطار نظري يزوده بفكرة رمزية أو صورة عامة تساعده على فهم العالم الذي نعيش فيه وتعطي نظرية النسق العام رؤيا واسعة تساعد على تفهم وتحليل الأمور وتشرح طبيعة التفاعل بين الأنظمة المختلفة (الأسرة، الحي، المؤسسة، المجتمع الصغير، المجتمع الكبير) بالإضافة

الى عرض المفاهيم المرتبطة بالمنظور البيئي تساعد على تفهم تأثير البيئة، هنالك فكرة أساسية تؤكد ان البشر يتفاعلون بشكل مستمر مع انساق مختلفة من البيئة تتضمن الاسرة والأصدقاء ومكان العمل ومؤسسات الرعاية الاجتماعية وأماكن العبادة والأندية الرياضية ، ان الأفراد يتعاملون بشكل متفاعل وديناميكي من اجل اشباع الاحتياجات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة، ومن ثم فإن دور المهن الإنسانية والاجتماعية هو العمل على تحسين وتنمية التفاعل بين الأفراد المعنية، فالسلوك الإنساني في مفهومه عبارة عن الأنشطة والتفاعلات التي يقوم بها الفرد لتحقيق غايات معينة فتكون بعض هذه الغايات مقصودة ومخططة وبعضها بسيط وغير شعوري وبشكل عام فإن سلوك الفرد يمكن للآخرين ملاحظته بواسطة الحواس الخمسة حيث يمكن على سبيل المثال ان نسمع بكاء الطفل ونشاهد حركاته كتعبير عن حاجته للغذاء وعلى الجانب الأخر يمكن مشاهدة الطالب يداوم في الحضور للمدرسة بشكل متكرر كل هذه المنظومة من السلوكيات تستهدف حصول الطالب على شهادة دراسية وتعلم الخبرات لتساعده على الحصول على وظيفة ما وتحقيق الاستقلالية المادية، هذا النوع من السلوك نجد انه يتسم في التكرار والاستمرارية حيث أن الغاية التي يسعى اليها الفرد تحتاج الى المداومة والمتابعة لتحقيق غرض بعيد (سليمان:2005: 22-47)، فالسلوك يعتبر كنشاط موجه ومقصود لتحقيق غايات محددة ولكن السلوك الإنساني يرتبط بقدرة الفرد وتفهمه لمعنى السلوك والنتائج المرتبطة به، حيث يختلف الأفراد في مدى تفهمهم لحقيقة السلوك ومدى وعيهم بموضوعية السلوك وقدرتهم على تعديله وتنميته وتطويره من اجل الحصول على الأهداف بطريقة مثلى وبنتائج كبيرة فالعامل الذي يقوم بأداء مهمة معينة قد يتعلم من خلال التجربة أن أداء العمل بدرجة من الاتقان والمهارة قد يؤدي الى تحقيق مستوى أعلى من الفائدة الذي يمكن ملاحظته في نوعية المنتج الذي يحصل عليه في النهاية، هنالك ارتباط كبير بين ظهور السلوك الإنساني وتطوره وطبيعة وثقافة الفرد المقدرة على تفهم السلوك وتحليله ومهارته وتعديله وتوظيفه بطريقة فعالة، الفرد يتعلم السلوك من خلال احتكاكه اليومي والمستمر مع

البيئة، والسلوك الإيجابي يحتاج الى نوع من التوجيه والثقافة (مرجع سابق: 2005: 48).

على الرغم من التشابه الكبير في الخصائص الطبيعية والبيئية والثقافة التي تجمع ما بين المجتمعات العربية إلا ان هناك بعض الخصائص المتفردة التي يتميز لها كل مجتمع كنتيجة للطبيعة الفيزيائية(الجغرافية) والخبرات الاقتصادية والسياسية والفنية والثقافية لكل مجتمع والتجربة التنموية التي عاشتها بعض المجتمعات العربية لذلك فإن التعرف على بعض النماذج من التفاعلات والخبرات الاجتماعية وطبيعة التغيرات يساعد على فهم طبيعة التفاعل بين المجتمع والبيئة وأنواع السلوكيات السائدة في أي مجتمع كأمثلة تبين تأثير الثقافة على السلوك الإنساني.

الدبكة في المجتمع الأردني

الرقص الشعبي بشكل عام هو ابداع الجماعية انبثق من نشاطهم ليعكس أعمالهم واعيادهم وشعائرهم وطقوسهم واحتفالاتهم الأخرى بل أنه يصور بصدق تاريخهم السابق طبيعية كانت ام غير طبيعية الى جانب كونه تاريخيا اجتماعيا لجميع دارسي المجتمعات البشرية، ولا شك فيه ان دراسة الرقص الشعبي يجمع مقومات عادات الشعب وأساليب حياته وثقافته وتقاليده التي عاشها ويعيشها ومن هنا كان الرقص يعود بنا الى الماضي البعيد حيث نجد في البداية ان أقد الرقصات شأنها في هذا المجال شأن الغانية قد ارتبطت في العمل أو انها كانت انعكاسا لتصورات الانسان وفكره وثقافته عن العالم المحيط به من حيوان وانسان، اما رقصات الحرب والرقصات التي عنيت في الطقوس والشعائر فقد تلت مرحلة العمل والصيد وذلك عندما الانسان الأول يحارب ويعبد الآلهة وأما رقص الاحتفالات الاجتماعية كالأعراس وما الى ذلك والتي تكون عادة متسمة بطابع الجامعة ولا يصح هذا الرقص الا بها فقد تأخر ظهوره وذلك لأن الانسان لم يصيح اجتماعيا الا بعد مرور وقت طويل فصار الناس يعبرون عن افراحهم واحزانهم بواسطته في شتى المناسبات التي تتطلب مجاملاتهم

بعضهم مع البعض الآخر (عمد:1996: 115)، والرقص والرقصان: الخبب وفي التهذيب ضرب من الخبب وهو مصدر رقصة يرقص رقصا، الرقص في اللغة الارتفاع وانخفاض وعلى ذلك يكون الرقص في ابسط صورة، حركة يهتز لها الجسم على إيقاع ونغم، ويبدو ان الرقص قد وجد مع الانسان منذ زمن مغرق في القدم وربما كان ذلك قبل ان يفكر في نحت الأشياء او بناء المقابر بزمن طويل بل ان بعض كتب الحضارات يذهب الى ان الانسان الأول انشد قبل ان يتعلم الكلام ورقص حين انشد الغناء. والرقص الشعبي دون غيره من المأثورات اختص في المحاكاة فقد كان الانسان البدائي يحاكي حركات الطبيعة والحيوان ثم الانسان نفسه بيد انه مع مرور الزمن أصبح يحاكي الأفعال والحوادث، والواقع ان الرقص الأردني نوعان أول ما يسمى في الدبكة الشعبية وما يصاحبها من غناء وعزف على الناي (المِجْوِزْ) وهي رقصة فريدة من نوعها ومن الدبكة هذه تفرعت عدة رقصات مثل الجوفية ورقصة حبل مودع ورقصة السيف ورقصة ظريف الطول، وثانيهما ما يسمى في السحجة ورقصة السيف التي لا يصاحبها غناء ولا يصاحب هذين اللونين سوى القصيد الموقع وبعض الأصوات الحماسية، ويكاد الرقص الشعبي الأردني يطغى على كل لون من ألوان الفنون الشعبية الأخرى بل انه اكثر كلاسيكية وما تزال تستهوي أفئدة أولئك الذين ما يزالون يعيشون عند سفح الكيان الاجتماعي، ان ما خلفه لنا الآباء والأجداد من هذا الرقص ما هو الا تراث قديم قِدَم هذا الشعب الأصيل (مرجع سابق: 118). والدبكة عبارة عن رقص بسيط يناسب الفلاحين تمارس في زمان يحيط به الفرح من كل جانب وفي مكان منبسط فسيح، وهذه الرقصة تفي بمتطلبات الفلاحين وتمثل حياتهم وتفكيرهم أعظم تمثيل والرقص فيها موقع والغناء موزون وكأن الغناء ما وجد الا ليناسب هذه الرقة مما يدل على انه مرحلة ثانية على القص بدليل وحدة الوزن الذي يتمتع به، والغناء في هذه الرقصة يأتي على وزن الرمل كما يلي:

يا ظريف الطول يا روحي انت يا عقيد الجوهر ع صدير البنت

ومبارحة يا جواد أنا وحلمت أم العيون السود عَ زندي نايما

يشكل الراقصون دائرة تحيط بعازف موسيقي يحافظ على تناسقها تشابك أيدي الراقصين والراقصات في أحيان كثيرة كما هو الشأن في الشمال الأردني ويسمون هذه الرقصة حينئذ (حبل مودع) ثم لابد من ان تتشابك المرافق على الأكتاف تارة وعلى الخصور تارة أخرى وتلتحم الاجسام بصورة تتموج معها هذه الدائرة البشرية وتتأرجح ذات اليمين وذات الشمال محافظة على تناسقها التقليدي بإيقاعات موسيقية وايقاعات أخرى تنظمها الأقدام والغناء في آن واحد، ويقود حلبة الرقص أمهر الراقصين ويسمى (اللواح) أو (اللويح) ويساعد اللواح هذا اثنان يعتمد عليهما اعتمادا كليا عندما ينزل وسط الحلبة وحده ليرقص بخفة متناهية (مرجع سابق:119).

الرقص او الدبكة الشعبية بعامة هو ابداع الناس وهو أيضا نتاج الحياة نفسها انبثق من نشاطات الناس ليعكس أعمالهم التي يقومون بها واعيادهم واحتفالاتهم وطقوسهم التي يمارسونها، ليس هذا فحسب با انه مرآة تعكس تاريخهم والحوال الطبيعية التي يعيشونها فيها كذلك عاداتهم الخاصة والاجتماعية، ودراسة الرقص الشعبي تعود بنا الى الماضي البعيد حيث نجد ان أقدم الرقصات الشعبية قد ارتبطت بالعمل او انها كانت انعكاسا لتصورات الانسان او لفكرته عن العالم المحيط به (عنتيل: 1987: 144). يحتل الرقص الشعبي حيزاً لا يستهان به في مجدان الشعوب، ويندر أن تجد شعبا لا يختص بنوع خاص من الحركات والاغاني المتناغمة التي اتفق عليه تسميتها بالرقص، رغم انها تحمل دلالات وابعادا تخرج عن حدود المعنى المعروف لهذه الكلمة الى ما هو أعم واشمل وبالنسبة لمجتمع الأردن تعتبر الدبكة على محمل الحركات والاشارات والايقاعات التي تعبر عن الاحاسيس الوجدانية لشعب المنطقة والتي صاغها منذ زمن بعيد بقالب خاص وترجمتها في حركات واشارات تحمل كل واحدة منها أكثر من معنى وتتلون باختلاف المناسبات التي تؤدى فيها (إبراهيم:2009: 72). الرقص كالغناء تعبير عن زيادة الانفعالية في الانسان انه انفعال الرفح والنشوة والطرب أو قد يكون مدفوعا بعوامل فردية أو جماعية فحين يرقص الفرد

في الريف مثلا يهدف الى ان يقال عنه بأنه " اللويح الشاطر " او ليباهي الاقران ويتظاهر بالرجولة والشباب ام الجنس الأخر

نِزلْ عَالدَّبكة اللَّويح الشَّاطر لُوحِة يمينه تُجْبرُ الخاطر

والرقص الشعبي كنشاط انفعالي شيء جربته الجماعة ومارسته ثم قدمته من جيل الى اخر، ومن ضمن ما تحويه الرقصات الشعبي، وقد بدأ الرقص الشعبي مع الانسان البدائي فأدخل الرقص كواسطة لفهم رغبات الآلهة وطرد الأشرار والارواح والقضاء على الأعداء والتعبير عن مرور الفصول وشروق الشمس وبزوغ القمر كذلك التعبير عن الخصب وكانت الشعوب البدائية يتعرف بعضها على بعض عن طريق رقصاتها فكانت افضل طريقة لذلك ان تقدم الواحدة منها رقصة أخرى ان هذا يذكرنا بذلك اليوم الذ عقد فيه مؤتمر باندونج للشعوب الافريقية الاسيوية وقد اشتركت في استقبال الوفود فرق شعبية كان كل وفد يحرص على التعبير عن طابع بلاده بالرقص الشعبي (سرحان:1979: 221)، كانت الرقصات البدائية تتم بملابس غريبة الشكل وحمل بعض الأشياء كالأسلحة او لبس الأقنعة او الدوران حول النار مثلا او استقبال زعيم القبيلة وفي هذه الأيام نرى ان للرقص ملابسه الخاصة سواء المحلي منه ام الأجنبي، وخلال تاريخ مصر القديمة كان الرقص جزءا هاما من الاحتفالات الدينية التي تبدأ بموكب من الكهنة الراقصين والموسيقيين خلال الشوارع كما اشتهرت النساء بمصر القديمة برقصات خاصة حزينة بمناسبة الوفاة (مرجع سابق: 1979: 222). في الأردن ساعدت الحفريات الأثرية في موقع نبطية العثور على عدد من المنحوتات الحجرية والفخارية التي تمثل أدوات موسيقية أو موسيقيين وهم يعزفون ويرقصون مع الاتهم الموسيقية، كما وتؤكد الحقائق ممارسة الرجال للموسيقى جنبا الى جانب مع النساء، كان العزف والرقص فرديا وجماعيا بما يتناسب مع الحدث مما يدل على ان النبطي امتهن مهنة العزف والغناء والرقص كما ويدل من جانب اخر ان الموسيقى رافقت الغناء والرقص في مختلف المناسبات

والاحتفالات النبطية في مدينة البتراء، ان اول إشارة على أهمية الثقافة الموسيقية الشعبية لدى الانباط هو عمل تماثيل لهم، فالتماثيل عادة ما تنتج من اجل الالهة او الحكام او من عليه القوم وأصحاب المكانة الدينية الرفيعة، وتشير نوعية الخام التي صنعت منها المنحوتات التي تمثل موسيقيين وراقصين وهي من الفخار إضافة الى صغر حجمها، يشير الى سهولة وإمكانية اقتناءها من قبل عامة الناس وذلك لرخص ثمنها وهذا يدل على اهتمامهم العامة في الثقافة الموسيقية وبدخولها في طقوسهم الدينية ومناسباتهم الاجتماعية، كما انه يدل من جانب اخر على أهمية الموسيقيين ومكانتهم الدينية، آمن الانباط بدور الموسيقى وتأثيرها في الارتقاء بأرواحهم وايصال طقوسهم الدينية الى الالهة وحياة الخلود ويتضح ام طقس المآدب وما تحتويه من غناء وموسيقى كان من أهم الطقوس الدينية والاجتماعية النبطية، فهناك مآدب يقيمها الملك وأخرى تتبع طقوس تقديم القرابين وثالثة خلال الطقوس الجنائزي.(المصري: عبدالعزيز : 2010: 23–32)

شكل (2): صورة فرقة موسيقية نبطية (المصري: عبد العزيز : 2010: 32)

يصاحب الرقص الشعبي الغناء الشعبي في العديد من الحالات في الافراح الشعبية اذ يرقص الرجال وترقص النساء الدبكة وغيرها من الرقصات الشعبية على صوت المزمار البلدي او الشبابة او الطبل والدف وهنالك الرقصات الشعبية الجماعية التي يمارسها الرجال والنساء في حلقة دائرية وبقيادة اللويح او الرقصات الفردية على صوت الإيقاع الموسيقي او مجرد نقرة الكف، يرقص السباب في ليلي ما قبل الزفاف ويوم الزفاف وذلك

كفقرات خاصة تؤدى بين وصلات الحدائين او في فترات توقف الحدُاء، كذلك تفعل النسوة اذ ترقصن في بيت العروس في سهرات التعليلة تلك السهرات التي تسبق الزفاف وقد ترقص قريبات العريس لحظة الصمدة أي يجلس العروسان الى جوار بعض. الدبكة هي رقصة شعبية تمثل التراث الفلكلوري في كثير من البلدان تمارس في مناسبات اجتماعية مختلفة مثل الأعراس والمناسبات الوطنية، تكون اغليها جماعية تصاحب الات موسيقية شعبية مثل الشبابة، اليرغول، المجوز، الطبل، الطبلة (الدربكة)، منتشرة في الكثير من المناطق العربية، يقف الراقصون على شكل صف أو على شكل قوس أو دائرة، يكون الراقصون من الذكور أو الاناث تؤدى اما مختلطة او منفصلة يقود الراقصون شخص يسمى في اللواح، يقوم عادة في حركت راقصة تشجيعية مختلفة عن الراقصين، تعتمد حركات الدبكة على ضرب الأرض من خلال الأرجل بصوت عال مترافقة بالغناء والعزف الموسيقي الشعبي (موقع الكتروني: 2) تتكون عادة الدبكة من اللواح، لقد سمي باللواح لأنه يمسك بيده عادة خيزرانة يلوح بها أثناء عملية الرقص فأحيانا يرفعها للأعلى وأحيانا يضعها على كتفه وأحيانا يضرب الأرض بها، وأحيانا يؤشر بها على من لا يتقن حركة معينة وهو بمثابة قائد الاوركسترا فهو الذي يعطي الاوامر للراقصين كي يؤدوا رقصة او دبكة معينة. ثم الراقصون مهمتهم اطاعة اوامر اللواح، واداء الرقصات والحركات التي يوجههم بها، وعليهم ايضا ان يتقنوا تلك الرقصات والحركات ولينزل الى حلبة الرقص الامن يتقن تلك الحركات، أما العازف هو الشخص الذي يعزف على الشبابة او المجوز او الأرغول، وأحيانا يرافقه ضارب الطبلة وعلى العازف ان يتقن العزف على الالة التي يعزف عليها وان يحفظ الالحان المناسبة وينتقل من لحن الى اخر بوصلة قصيرة دون لحن اغنية معينة، يعتبر المغني بمثابة المطرب الشعبي وعليه ان يحفظ الاغاني القديمة والدارجة والجديدة ويكون ذا صوت جميل ومحبب الى النفوس وان يكون متقننا للغناء ويتقن تلحينه، ثم عازف الإيقاع والذي يقوم بالعزف على الة

الطبل او الطبلة لضبط الايقاع، بحيث تكون منسجمة مع العازف الرئيسي (الزعبي:2014: 185).

ثانياً: الإطار التطبيقي:

يشتمل التحليل الموسيقي نماذج من بعض الدبكات الشعبية الأردنية، تم اختيار عينات البحث على أساس الاختلاف في الثقافات الموسيقية الشعبية في المناطق الأردنية، قام الباحث بتدوين بعض منها، يلي التحليل نتائج البحث التي توصل اليها الباحث.

النموذج الأول: رقصة (الدحيّة) السامر

رقصة اردنية ترمز إلى التكاتف، تمارس الدحية قديما قبل الحروب لإثارة الحماسة بين أفراد القبيلة وعند نهاية المعارك قديما يصفون فيها المعارك، أما الان تمارس في مناسبات الأعراس والأعياد وغيرها من الاحتفالات، هذا النمط من الرقصات يتكون من قصيدة شعرية غنائية ذات نمط محدد تغنى من قبل شاعر مغنٍ محترف يسمى (القاصود)، يساعده في الغناء مجموعة الحضور لحفل السامر (من السمر ليلاً) وذلك من خلال قيامهم بدور الرديدة أو (المذهبجية)، تؤدى بشكل جماعي، يصطف الرجال بصف واحد أو صفين متقابلين ويغني الشاعر المتواجد في منتصف احد الصفين قصيدته المغناة والتي تشبه الهجيني يردد الصفين بالتناوب أو يرددون وهم مصطفون بشكل دائري مقطعا محدداً بعد أداء القاصود لكل مقطع من القصيدة والتي تبدأ عادة بالمدح وربما ترتبط جذور هذا الغناء بالتهليل والتلبية القديمين في العصر الجاهلي ثم ينتقل القاصود الى مدح المحتفل بهم، يلي ذلك غزل رقيق في وصف الحاسي وهي (المرأة التي ترقص بالسيف وسط حلقة السامر)، والتي يكون رقصها بحركات رشيقة سريعة وبكل قوة وجرأة، ثم تزداد الحركات الايقاعية والتصفيق المرافق للأداء منذ البداية على الوحدة الإيقاعية تزداد السرعة رويداً رويداً حتى تبلغ ذروتها في المقطع الأخير المسمى (الدحيّة) (غوانمة: 1997: 27) والذي يؤدى بأسلوب الإلقاء الإنشادي معبراً عن ذروة انفعالات الجميع،

وقد تؤدى بأسلوب قصصي هو جوهر ما تم الاجتماع عليه كموضع قصصي سردي لمعركة ما أو وصف لديار أو هجاء أو مدح من أشهر مطلع القصائد في الأردن:

القاصود:

أوّل ما نَبدى ونِقُولِ صَلّوا عَ طَهَ الرسولِ

المجموعة:

هَلا وهَلا بَكْ يَا وَلدْ لا يا حَليفي يا ولدْ

مدونة رقم (1): رقصة (الدحيّة) السامر

يظهر السلوك الانساني عند البدو من خلال تأثره في البيئة المحيطة التي لها الأثر الكبير في تكوين الحياة الاجتماعية البدوية، الماء هو الجزء الهام بالنسبة إلى البدو ذلك لتنشأ المراعي التي يسعى اليها، هي من العوامل الطبيعية التي تسببت في وجود البداوة، فالظروف القاسية التي يعيشها جعلته يعمل على تحسين حياته وثقافته من خلال تعامله مع الظروف الفيزيائية، ربما تكون الظروف الإنسانية وبطريقة أخرى من أسباب البداوة نتيجة الهجرة أو التعرض لغزو رغبة في استملاك الأراضي والقطعان (حداد:2004: 3)، ان السلوك الإنساني المعبر من خلال الحركات الراقصة جاء من طبيعة الحياة والثقافة الموسيقية التي عاشها ويعيشها البدوي، فتأثره بالصحراء والعادات والتقاليد وطرق صنع الأشياء، إن البدو يساعدون بعضهم البعض بحكم القرابة وبوجود نوع من التضامن الأسري يقومون بقص صوف ووبر الجمال والماعز وبناء مساكنهم وحراثة الأرض والحصاد سوية، ويشارك الأعمام والأخوال بشكل رئيسي في قرارات العائلة الواحدة، فلهم رأي في اختيار الأزواج، وكذلك المشاركة في حل المشاكل ودفع الديّة والحروب و الذود عن الديار والمشاركة بالنشاطات الترويحية كالغناء والرقصات (ناصر :2018: 192)،

استخدمت العديد من الضروب الإيقاعية العربية مثل (الملفوف، الهجع، البمب، السماعي الدارج، الدويك، وغيرها).

النموذج الثاني: رقصة يا ظريف (زريف) الطويل

تعتمد رقصة ظريف الطول على القالب الغنائي الشائع في التراث الأردني (ظريف لطول)، حيث يتغنى به أهل الريف والبادية على حد سواء في كافة افراحهم ومناسباتهم السعيدة يصاحب الغناء الات موسيقية شعبية ويؤدى من خلال رقصات الدبكة حيث يؤديه الرجال والنساء كل في حلقة خاصة وأحيانا قد يؤدي مشتركا بين الرجال والنساء كما في الدبكة الشعبية المشتركة المسماة (حبل مودع).

أن كلمة (زريف) بحرف (الزاي) هي الصحيحة في قالب زريف الطول وليست كلمة(ظريف) بحرف (الظا)، أي أنها تكب كما تلفظ وتغنى حيث انها اشتقت من اسم وصفة حيوان الزرافة المتميزة بطول العنق وهي من أهم الصفات المرغوبة في المحبوب والذي يكثر ذكره وتعداد صفاته في غناء زريف الطول، كذلك فإن كلمة ظريف تعني الكيس الحاذق وحلو المعشر، وهي ليست بأية حال من الصفات الملازمة للطول الذي ينادي به الغناء، كما أن هناك دليل أخر يؤكد ما ذهبنا اليه وهو ان العامة في الردن وهم أهل الريف والبادية وأصحاب ها الغناء لا يبدلون حرف (ظا) بحرف (الزاي) في حديثهم ولا في كتاباتهم (غوانمة:1997: 32).

كلمات الأغنية:

يا ظريف الطول وقف تاقولك رايح عالغربة وبلاد احسنلك

خايف يا محبوب تروح وتتملك وتعاشر الغير وتنساني

أنا

مدونة (2): اغنية رقصة ظريف(زريف) الطول.

النموذج الثالث: رقصة السحجة

رقص بسيط حيث يكاتف الرجال بعضهم بعضا ويصطفون الى جانب البعض ويصفقون في الايدي تصفيقا عنيفا خشنا متجاوبا مع أصوات غليظة تتكون عادة من حروف (الدال والحاء والياء) مجتمعة أي على هيئة(دحي) وتسبه الخوار او الهديل المتلاحق الصاخب وهذه الأصوات المنبعثة من الراقصين كانت وما تزال التوقيع الحقيق لهذه الراقصة واكبر الظن ان هذه الرقصات لم توجد الا للتعبير عن احتياجات سلوكية ثقافية إزاء الفتاة الراقصة التي تسمى عادة في الحاشي، وقد يجد شخص لمراقصة هذه الفتاة وربما احتاجت الرقصة الى فتاة أخرى، والسحجة بحركاتها تشكل في الوقع نصف رقصة فقط وتكملها رقصة أخرى يكون اعتمادها الفعلي على القصيد والتصفيق، تتميز هذه الرقصة في الرتابة لأنها تفتقر الى الحماس والتعبير الحركي والحركة الوحيدة التي تلمحها هي حركات جسمانية ذات اليمين وذات الشمال فقط مع تلاحم الاكتاف (غوانمة:1997: 33). تكاد تكون السحجة من أهم رقصات منطقة وسط الأردن ام منطقة الشمال الأردن فيكاد اسمها يقترن بالدبكة فيقال (الدبكة الشمالية) نسبة الى الشمال أما باقي انحاء الأردن الجنوبي فتسود فيه رقصة السامر.

كلمات الاغنية:

يا ربي يا جايب الغياب وتجيب للدار راعيها
وتجيب خيّي كحيل العين يا لجروح قلبي يداويها

مدونة (3): اغنية رقصة السحجة

النموذج الرابع: الدبكة الشمالية

من أشهر الدبكات الأردنية تبدأ حركاتها بالرجل اليسرى وتنتهي أيضا في اليسرى تمتاز في إيقاعها السريع بمرافقة آلة (المِجْوِزْ).تعتمد الدبكة الشمالية على العديد من الأغاني الشعبية مثل الدلعونا وهي من أهم القوالب الغنائية في الأردن على الاطلاق نظرا لما يزخر به هذا اللون الغنائي من مئات النصوص الغنائية بمختلف المضامين والأغراض فهو لون غنائي ريفي ينتشر في كافة مناطق المملكة حتى البدوية منها إضافة الة انتشاره في الأقطار العربية المجاورة جميعها وهو لون محبب لدى العامية، يتكون النص من بيتين من الشعر الشعبي العامي (أربع شطرات) تتحد الثلاثة الأولى منها في قافية واحدة بينما تلتزم الشطرة الرابعة القافية الدلعونية (ونا)، وهي الحرف الثلاثة الأخيرة من كلمة دلعونا، ، هي ان المغني يجعل هذه القافية بنهاية ألفية ممدودة لحاجة قائد الدبكة المصاحبة لغناء دلعونا (اللواح) الى سحب الراقصين (الدبيكة) الى القفز السريع في الهواء عند نهاية غناء كل مقطع من مقاطع دلعونا في الحركة الراقصة المسماة(التشيله)، كذلك فإن هذه القفلة تعطي للمغني إمكانية كبيرة في استكمال استعراض قدراته الصوتية بتزويق هذا الحرف الممدود حيث يعتبر المد والتطريب بالمفهوم الغنائي الشعبي إشارة هامة ومتفق عليها بين الرباعي المؤدي لغناء الدلعونا اذ يعتمد غناء دلعونا وأداؤه بنماذجه المختلفة على أربعة عناصر هم المغني، العازف، الراقصون و اللواح (غوانمة: 1997: 30).

كلمات الأغنية المرافقة للرقص

على دلعونا على دلعونا الهوا الشمالي غير اللونا

الهوا الشمالي غير لي حالي واخذ بدلا أسمر اللونا

مدونة (4): أغنية الدبكة الشمالية

هكذا أصبح هذا الفن التراثي العربي الأصيل يحتل مكان الصدارة بين فنون المجتمع الأردني وان كان هذا الفن يعرف في الدبكة وهو انعكاس لحياة الانسان وثقافته الشعبية وسلوكه في المجتمع الأردني.

تعتبر الأغاني والرقصات الشعبية الفلكلورية واحدة من أهم مظاهر الابداع الشعبي في المجتمع، حيث يعبر أفراد المجتمع عن طريقها عن جميع مشاعرهم وأحاسيسهم وآلامهم وترجع أهمية الأغاني الشعبية الى ارتباطها بمراحل العمر المختلفة للإنسان فهنالك أغاني الطفال والشباب واغاني الرجال والنساء فضلا عن أغاني العمل وغيرها من ألوان النشاط الإنساني واغاني المناسبات الاجتماعية.

نتائج البحث

توصل الباحث بعد فهم ودراسة الأغاني الشعبية إلى الإجابة على أسئلة البحث وهي:

السؤال الأول: كيف تؤثر الثقافة الشعبية على السلوك البشري؟

1.ان الانسان يعيش ضمن طبيعة فيزيائية متأثرا في الكثير من العوامل النفسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمناخية المختلفة اثرت على سلوكه الإنساني منذ القدم محاولا إيجاد الطرق والوسائل للتعامل معها، اثرت الكثير من الظروف البيئية والمجتمعية على الفرد والاسرة والمجتمع، حاول الانسان قديما جاهدا إيجاد الطرق والوسائل للتعامل مع تلك الظروف فأثرت في حياته وثقافته وسلوكه الإنساني ذلك من خلال محاكاته للطبيعة التي اغنت ثقافته في الكثير من الميادين المعرفية.

2.ان العلاقة التي تربط الثقافة الشعبية في الفلكلور ذلك ان علم الاجتماع يهتم بدراسة البناء الاجتماعي وتطوره وحركة تغيره وما يحكمها من قوانين وعلوم الاجتماع الفرعية يدرس كل منها نسقا فرعيا او مجالا محددا من مجالات البناء الاجتماعي

في علاقته بغيره من انساق المجتمع مع التركيز على النسق الفرعي موضوع الاهتمام، وبما ان الفلكلور يدرس بعض تلك الانساق الفرعية كنسق الآداب الشفوية أو المعتقدات والقيم فإن اللقاء حتمي وعميق بين علم الاجتماع والفلكلور والحقيقة ان الفلكلور يضع نفسه في مكان وسط تلتقي فيه الكثير من العلوم الاجتماعية وخصوصا الانثروبولوجي، بل وان الانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها فتتبع نموها وتطورها وتدرس بناء الثقافات البشرية واداءها وظائفها في كل مكان وزمان(المطور: 2007: 44).

3.دراسة الثقافة هي موضوع ما يمكن أن يطلق عليه (علم الثقافة المقارن) ويقصد به هذا الفرع من علم الانسان المسمى بالأنثروبولوجيا الثقافية وبتعبير أخر هو العلم الذي يعنى بدراسة الانسان ودراسة أعماله ويشمل جميع ظواهر الحياة الإنسانية والاجتماعية من غير تحديد لزمان أو مكان، اذا كانت الأنثروبولوجيا الطبيعية هي دراسة الجسم البشري من جميع نواحيه البيولوجية والفسيولوجية أو بتعبير آخر دراسة ما عليه الناس فان علم الانسان الثقافي هي دراسة ما يقوم الناس في صنعه، ام ما يصنعه الانسان يسمى (ثقافة) باستخدام الكلمة في أوسع معانيها وليس بالمعنى الخاص للتربية الأدبية أو الفنية، وثقافة شعب من الشعوب تشمل البناء الكامل من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والقوانين واللغة كما تشمل جميع الأدوات والأسلحة والآلات الموسيقية وغيرها من الاختراعات التي يستخدمها الناس لكي يتلاءموا مع حياتهم على الأرض (عنتيل: 1978: 117).

4.تلعب الثقافة العربية وما تزال دورا كبيرا في صنع الحضارة الإنسانية ولم تأل جهدا في إغنائها بالتنوع والتعدد في إمكانات التعبير، وقد استمرت في لعب الدور الإنساني المقدر لها على مدى فترات وحقب عديدة من التاريخ الإنساني، وكان من حسن هذه الثقافة أن تميزت بعبقرية الموقع الجغرافي الذي يمتد من الخليج الى المحيط ويتلاحم مع قارات آسيا وافريقيا وأوروبا، فتنوعت البيئة وندرت الحالة، من هنا أتيح لهذه الثقافة ان

تنتمي الى كل مكان دون ان تكون هناك في مجموعها وان يجتمع لإغنائها الجبل والسهل والصحراء والبحر والمحيط، فضلا عن الانسان الذي تشكل وفقا لهذه المعطيات(Miller: Shahriari: 2017: 219)، تعتبر الثقافة الشعبية الموسيقية هو نتاج عقلية الجماهير الأردنية التي تسكن القطعة العربية من الأرض والتي هي جزء من الفن الشعبي العربي الواحد، هي جزء من الموروث الشعبي وتاريخ الشعوب والمحتوى الذي تستمد انتمائها وأصالتها وقيمها ولغتها وطقوسها وأسلوب حياتها الذي يعبر عن الثقافة والهوية المجتمعية، كما وتعتبر من أهم الركائز في عملية التنمية والبناء والتطوير، المكون الأساسي في صياغة الشخصية الاجتماعية. والأردن كغيره من المجتمعات في العالم يملك من الإرث الثقافي المتنوع (المادي وغير المادي) ما يجعل الدراسات في الحقل الشعبي اهتمام متزايدا (سرحان: 1997: 13).

5. الثقافة الشعبية هي التي تمثل الشعب والمجتمع الشعبي، ترتكز على قاعدة المشافهة وهي مدونة في أفكار الناس وذكرياتهم ما يمنحها في نفس الوقت تجرا متميزا يجعل الأجيال تتناقل آدابها جيلا بعد جيلا، ومن أهم خصائص الثقافة الشعبية التتبع والتقيد بمجموعة من المعايير التي تفرضها علينا الثقافة بمعنى الالتزام من خلال مرحل التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة، غير مدونة يتم تنقلها بطريقة شفاهية محفوظة، تتميز في الاستمرار والثبات دون تحريف في الأسلوب العام، كما وان الثقافة الشعبية عملية تلقائية وغير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية لسد واشباع الحاجات الطبيعية الأساسية والتي تتحول مع الزمن الى عادات فردية وجماعية، مستقلة عن غيرها من الظواهر الاجتماعية لأنها من صنع الأجيال السابقة.

6. يمكن تصنيف الثقافة الشعبية الى أبواب كبيرة مثل المعتقدات، العادات والتقاليد، والأدب، الموسيقى والفنون الجميلة، الطب الشعبي، الصناعات والفنون اليدوية، المسح والاحصاء، السير الشعبية، الأغاني التعابير والأقوال السائرة والكنايات والألغاز والحكايات

والاساطير ، الامثال، الشعر ، والرقصات والدبكات، كل ذلك يجمع بين ما توارثه المجتمع من خبرات ثقافية في اشكاله التعبيرية وبين ما تحتاجه حياته اليومية في إطار من العادات والتقاليد والقيم الروحية، وما تحمله عناصره من مقولات الانسان الفكرية والاجتماعية، حملت الثقافة العربية بحكم طبيعتها وتكوينها موروثا ثقافيا اكثر بكثير مما حفلت به المدونات، كما تناقلت ألسنة الرواة القصص والامثال والحكايات والاساطير والشعر والاحاجي والنكات والفكاهات، وظل هذا الموروث في تواصل مع الثقافة العربية يأخذ منها ويعطيها دونما انفصام بين ما هو موروث وما هو مأثور أو بين ما هو ثقافة تاريخية رسمية وبين ما هو تراث وثقافة شعبية، لقد ظلت الثقافة الشعبية تقوم بدور فعال في الحفاظ على طابع الشخصية العربية ومقوماتها، فقد حمل الرواة والمنشدون والموسيقيون تراث الأمة المتمثل في السير الشعبية والملاحم القومية (العمد:1996: 15-18).

السؤال الثاني: هل الدبكة الشعبية هي أحد النماذج الناتجة من خلال تأثير الثقافة الموسيقية على السلوك الانساني؟

1. اذا كان المجتمع هو جامع الأفراد فان الثقافة هي كيان السلوك المكتسب لهؤلاء الافراد جيلا بعد جيل، ولكل مجتمع طرقا كثيرة يتعلمها أفراده للتفكير والعمل ويسلك سلوكا يختلف عن المجتمعات الأخرى، هذا التفكير وهذا السلوك هو ما يصنع الثقافة التي تميز مجتمعهم عن مجتمعات الآخرين، والانسان هو الذي يملك القدرة على التطور مثلما نقل السلوك المتعلم أو المكتسب، اما العملية التي يجد الفرد بها اكتماله في مجتمعه فهي ما يسمى التأقلم أو التكيف في المجتمع وهي توائم الفرد مع تصرفاته وسلوك الأخرين وتوقعاتهم منه وردود الفعل المتوقعة وهكذا (شريف:2008: 14-21).

2.الرقص الشعبي بشكل عام هو ابداع الجماعية انبثق من نشاطهم ليعكس أعمالهم واعيادهم وشعائرهم وطقوسهم واحتفالاتهم الأخرى بل أنه يصور بصدق تاريخهم السابق طبيعية كانت ام غير طبيعية الى جانب كونه تاريخيا اجتماعيا لجميع دارسي المجتمعات البشرية، ولا شك فيه ان دراسة الرقص الشعبي يجمع مقومات عادات الشعب وأساليب حياته وثقافته وتقاليده التي عاشها ويعيشها ومن هنا كان الرقص يعود بنا الى الماضي البعيد حيث نجد في البداية ان أقد الرقصات شأنها في هذا المجال شأن الغانية قد ارتبطت في العمل أو انها كانت انعكاسا لتصورات الانسان وفكره وثقافته عن العالم المحيط به من حيوان وانسان، اما رقصات الحرب والرقصات التي عنيت في الطقوس والشعائر فقد تلت مرحلة العمل والصيد وذلك عندما الانسان الأول يحارب ويعبد الآلهة وأما رقص الاحتفالات الاجتماعية كالأعراس وما الى ذلك والتي تكون عادة متسمة بطابع الجامعة ولا يصح هذا الرقص الا بها فقد تأخر ظهوره وذلك لأن الانسان لم يصيح اجتماعيا الا بعد مرور وقت طويل فصار الناس يعبرون عن افراحهم واحزانهم بواسطته في شتى المناسبات التي تتطلب مجاملاتهم بعضهم مع البعض الآخر (عمد:1996: 115)،

3.الدبكة عبارة عن رقص بسيط يناسب الفلاحين تمارس في زمان يحيط به الفرح من كل جانب وفي مكان منبسط فسيح، وهذه الرقصة تفي بمتطلبات الفلاحين وتمثل حياتهم وتفكيرهم أعظم تمثيل والرقص فيها موقع والغناء موزون وكأن الغناء ما وجد الا ليناسب هذه الرقصة مما يدل على انه مرحلة ثانية على القص بدليل وحدة الوزن الذي يتمتع به ، الرقص او الدبكة الشعبية بعامة هو ابداع الناس وهو أيضا نتاج الحياة نفسها انبثق من نشاطات الناس ليعكس أعمالهم التي يقومون بها وطقوسهم التي يمارسونها، ليس هذا فحسب با انه مرآة تعكس تاريخهم والحوال الطبيعية التي يعيشونها فيها كذلك عاداتهم الخاصة والاجتماعية، ودراسة الرقص الشعبي تعود بنا الى الماضي البعيد حيث نجد ان أقدم الرقصات الشعبية قد ارتبطت بالعمل او انها

كانت انعكاسا لتصورات الانسان او لفكرته عن العالم المحيط به (عنتيل: 1987: 144). تعتبر الدبكة على محمل الحركات والاشارات والايقاعات التي تعبر عن الاحاسيس الوجدانية لشعب المنطقة والتي صاغها منذ زمن بعيد بقالب خاص وترجمتها في حركات واشارات تحمل كل واحدة منها أكثر من معنى وتتلون باختلاف المناسبات التي تؤدى فيها (إبراهيم:2009: 72).

4. والرقص الشعبي كنشاط انفعالي شيء جربته الجماعة ومارسته ثم قدمته من جيل الى اخر، ومن ضمن ما تحويه الرقصات الشعبي، وقد بدأ الرقص الشعبي مع الانسان البدائي فأدخل الرقص كواسطة لفهم رغبات الآلهة وطرد الأشرار والارواح والقضاء على الأعداء والتعبير عن مرور الفصول وشروق الشمس وبزوغ القمر كذلك التعبير عن الخصب (سرحان:1979: 221).

5. من بعض النماذج، النموذج الثاني: رقصة يا ظريف (زريف) الطويل

تعتمد رقصة ظريف الطول على القالب الغنائي الشائع في التراث الأردني (ظريف لطول)، حيث يتغنى به أهل الريف والبادية على حد سواء في كافة افراحهم ومناسباتهم السعيدة يصاحب الغناء الات موسيقية شعبية ويؤدى من خلال رقصات الدبكة حيث يؤديه الرجال والنساء كل في حلقة خاصة وأحيانا قد يؤدي مشتركا بين الرجال والنساء كما في الدبكة الشعبية المشتركة المسماة (حبل مودع) (غوانمة:1997: 32).

كلمات الأغنية:

يا ظريف الطول وقف تاقولك رايح عالغربة وبلاد احسنلك

خايف يا محبوب تروح وتتملك وتعاشر الغير وتتساني أنا

مدونة (2): اغنية رقصة ظريف(زريف) الطول.

التوصيات

1. قيام جمعية او لجنة وطنية لدراسة الفنون الشعبية ذات مجلس إدارة او مجلس أمناء يتولى أمور الإدارة والتمويل والبحث.
2. انشاء ما يمكن ان يسمى المركز الأردني للفنون الشعبية كمؤسسة حكومية للقيام بالمهمة المطلوبة.
3. توجيه وتطوير الفنون من خلال إعطاء الدعم الكافي من قبل المؤسسات للمحافظة على التراث الشعبي من خلال تأسيس الفرق الموسيقية والشعبية وفرق الدبكة والرقص، وتأليف الكتب والمنشورات المتعلقة بالنشاطات الفنية الشعبية ونشرها بالطرق الإعلامية المختلفة.
4. إقامة مكتبة للفنون الشعبية من الدراسات التي تمت في أنحاء العالم.

المراجع العربية

1. إبراهيم، محمد، (2009)، الثقافة الشعبية الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

2. أبو الرب، توفيق، (1980)، دراسات في الفلكلور الأردني، جمعية عمال المطابع، عمان.

3. الجوهري، محمد، (1978)، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة.

4. الخولي، حسن، (1982)، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة.

5. القاضي، محمود، (1995)، موسيقى شعبية من مصر، دار الكتاب، القاهرة.

6.المصري، اياد، عبد العزيز ، مهدي، (2010)، الموسيقى عند الأنباط، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 3، عدد1، جامعة اليرموك، الأردن.

6.جابر، جابر، (1983)، مدخل لدراسة السلوك، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة.

7.حداد، عبد السلام، (2004)، الغناء البدوي الأردني، دراسة لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة في العلوم الموسيقية، جامعة الروح القدس، لبنان.

8.حمام، عبد الحميد، (1983)، الموسيقى والمجتمع في الأردن، العدد 62، مجلة أفكار ، دائرة الثقافة والفنون، عمان

9.حمد، منى، (2015)، أساليب التعبير عن الذات والرأي وضوابطهما دراسة تربوية في ضوء السنة النبوية، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 35، الجزء الأول، فلسطين.

10.حوامدة، محمد، السعدي، عماد، (2015)، فاعلية أناشيد الأطفال وأغانيهم في تنمية مهارات التعبير الشفويّ لدى تلاميذ الصف الأول الأساسي، مجلة دراسات (العلوم التربوية)، مجلد 42، العدد 1، الجامعة الأردنية، عمان.

11.حميد، حذام، (2007)، أثر التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض في محافظة ديالي، مجلة الفتح، العدد الحادي والثلاثون، العراق.

12.خشبة، غطاس، (2004)، المعجم الموسيقي الكبير، م2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

13.زعبي، احمد، (2014)، الأغاني الشعبية الأردنية، مديرية الثقافة، دار البيروني، عمان.

14.سرحان، نمر، (1979)، اغانينا الشعبية في الضفة الغربية، ط2، كاظمة للنشر، الكويت.

15.شحاتة، حسن، النجار ، زينب، عمار ، حامد، (2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط1، دار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة

16.سليمان، حسين، (2005)، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

17.شريف، فاتن، (2008)، الثقافة والفلكلور، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية.

18.شفيق، محمد، (2002)، العلوم السلوكية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

19.عمد، هاني، (1996)، اغانينا في الضفة الشرقية من الأردن، دائرة الثقافة والفنون، عمان.

20.عمد، هاني، (1996)، الأدب الشعبي في الأردن، دائرة المكتبة الوطنية، عمان.

21.عنتيل، فوزي، (1987)، الفلكلور ما هو؟، ط2، دار المسيرة، القاهرة.

22.عنتيل، فوزي، (1978)، بين الفلكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

23.غرايبة، شهاب، (2021)، الأهازيج والاغاني الشعبية الأردنية دراسة في البناء والغايات، مجلد2، اصدار1، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عمان.

24.غوانمة، محمد، (2008)، غناء السامر، مجلد1، عدد 1، المجلة الأردنية للفنون، جامعة اليرموك، الأردن.

25.غوانمة، محمد، (1997)، الاهزوجة الأردنية، مطبعة روزانا، عمان.

26.مطور، عزام، (2007)، الفلكلور التراث الشعبي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان.

27.ناصر، علاء، (2018)، الأغنية الشعبية بين الانفعال والتعبير الذاتي، مجلد 11، عدد2، المجلة الأردنية للفنون، جامعة اليرموك، الأردن.

المراجع الأجنبية

1.Germain, C, (1991), Human Behavior in the Social Environment, Colombia University press, New York.

2.Miller, Terry, Shahriari, Andrew, (2017), World Music a Global Journey, fourth edition, Routledge group, New York.

مواقع الكترونية

1.https://e3arabi.com/sociology/

2.https://areq.net/m/